حديث: ((عجب الله من قوم...))

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

خلاصة—هذا البحث يبحث في حديث: ((عجب الله من قوم...)).

الكلمات الافتتاحية: حديث، عجب الله من قوم.

I. *المقدمة*

التعرف على حديث: ((عجب الله من قوم...)).

II. موضوع المقالة

تخريج الحديث: حديث أبي هريرة عن النبي ع قال: ((عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)) ، وفي رواية: ((يقادون إلى الجنة في السلاسل)) رواها البخاري.

وجه الإشكال في الحديث : وقد تضمن هذا الحديث إثبات صفة العجب لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله، وليس في إثبات هذه الصفة ما يستلزم التشبيه ، ولا التمثيل لله تعالى بصفات المخلوقين.

وذلك أنها تجري على وقف ما قرره السلف الصالح من هذه الأمة : أمروها كما جاءت بلا كيف.

وهي من الصفات التي يثبتها ويؤمن بها أهل السنة والجماعة، فيصفون الله تعالى بالتعجب؛ لأنه وصف نفسه بما وصفه به رسوله ع فيما ثبت عنه، وهي من الصفات التي تتجدد حسب مشيئته تعالى وإرادته، فهي فعل من أفعال الله الكثيرة التي تصدر عن حكمة خفية لا يعلمها إلَّا الله تعالى.

أولًا: قد تدل صفة "التعجب" على محبة الله للفعل الذي هو محل التعجب، وهي في هذه الصورة متضمنة معنى الفرح، ومن أمثلة هذا النوع، قوله ع: ((يعجب ربك من شاب ليست له صبوة)) رواه أحمد وأبو يعلى بسند حسن.

وقوله ع: ((يعجب ربك من عبده إذا ثار من فراشه ووطائه إلى الصلاة))، وفي رواية: ((عجب ربنا من رجلين رجلٍ ثار عن وطائه ولحافه من حبِّه وأهله إلى صلاته؛ رغبةً فيما عندي، وشفقًا مما عندي، ورجلٍ غزَا في سبيل الله، فانهزم مع أصحابه، فعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى هُريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع رغبة فيما عندي، وشفقا مما عندي حتى هريق دمه)).

رواه أحمد والبغوي في (شرح السنة). وقال الألباني في التعليق على (المشكاة): حديث حسن، أو صحيح بالنظر إلى شواهده.

كل ذلك على ما يليق بالله، وإذا كان التعجب في حق الإنسان منشأه غرابة الفعل، وأنه حدث على شكل يثير العجب والغرابة؛ لأن الإنسان فوجئ بالفعل الذي هو محل التعجب، إذا كان هذا هو مثار التعجب عند المخلوق، فإن الله تعالى منزَّه عن هذه المعاني؛ لأنه سبحانه هو الذي قدر ذلك الفعل الذي هو محل التعجب، فلا ترد في حقه سبحانه هذه المعاني ، وتلك اللوازم لتعجب الإنسان . فلا يسعنا إلا أن نقول فيه ما قاله الإمام مالك من قبل : " التعجب معلوم المعنى مجهول الكيفية والكُنه، ولكن الإيمان والتسليم واجب والتعمق والتشكك بدعة ومهلكة، والله المستعان.

ثانيًا: وقد يدل التعجب على بغض الله للفعل الذي هو محل التعجب، ومن أمثلة هذا النوع ، وقد جاء في القراءة العشرية المتواترة قراءة يعقوب إضافة الفعل إلى الله تعالى: "بل عجبتُ ويسخرون".

قال ابن القيم -رحمه الله: "وقد يدل التعجب على امتناع الحكم وعدم حسنه".

وقد يدل أحيانًا على حسن المنع منه وأنه لا يليق به مثْله.

والتعجب بأنواعه المشار إليها صفة فعل تقوم بالله تعالى على ما تقدم تفصيله آنفًا، والاستغراب والتأويل غير وارد ؛ خشية الوقوع في القول على الله بغير علم ، لأن التأويل دائمًا مبني على الظن والتخمين؛ لأن المعنى المؤول إليه ظني قطعًا. وهذا ما جعل السلف يلتزمون منهجهم السليم، ولا يحيدون عنه، وهو عدم القول على الله بغير علم، بل التسليم لله في حقائق ذاته وصفاته، وأفعاله، ووقوفًا مع النصوص وتأدبًا معها، بل وتقديرًا لله حق قدره.

وقال الشهرستاني - وهو يتحدث عن منهج الإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم من أئمة السلف- قالوا: إنما توقفنا في تأويل الآيات لأمرين:

الأمر الأول: المنع الوارد في التنزيل "في سورة آل عمران في الآية السابعة حيث وصف المؤولين بالزيغ" فنحن نَحْذَر عن الزيغ.

الأمر الثاني: أن التأويل أمر مظنون "بالاتفاق" والقول بالظن في "صفات الباري" غير جائز، فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ .

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.

٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤. الزركشي، بدر الدين الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، المدينة المنورة، مكتبة الدار السفلية، ١٤٠٥هـ.

٦. بن منبه، همام بن منبه، صحيفة همام بن منبه، شرح وتحقيق : رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.

٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.

٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبه، محمد بن محمد أبو شهبه، دفاع عن السنة، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم،١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.